سورة مريم

٢٩٠ ـ قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾[١][١٤]، وبعده: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [٣٢]؛ لأن الأولى فى حق يحيى، وجاء فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد من بنى آدم إلا أذنب أوهم بذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام»، فنفى عنه العصيان. والثانى فى عيسى عليه السلام فنفى عنه الشقاوة ، وأثبت له السعادة، والأنبياء عندنا معصومون عن الكبائر غير معصومين عن الصغائر.

٢٩١ ـ قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾[٢][١٥] فى قصة يحيى، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾[٣٣] فى قصة عيسى، فنكَّر فى الأول، وعرَّف فى الثانى؛ لأن الأول من الله ـ تعالى ـ والقليل منه كثير، كما قال الشاعر:

قليلٌ مِنكَ يَكفِينى ولَكن ... قليلٌ لا يُقَـــال لهُ قَلِيلُ

ولهذا قرأ الحسن [٣]: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] أى نحن راضون منك بالقليل، ومثل هذا فى الشعر كثير، قال:

وَإِنِّى لَراضٍ منك يا هندُ بالَّذِى ... لَو أبصره الوَاشى لقَرت بلاَبله

بِلاَ وبـأن لا أستَـطيـع وبالمـنى ... وبالوَعْد حتَّى يَسأم الوعد آمله

والثانى من عيسى ـ عليه السلام ـ والألف واللام لاستغراق الجنس، ولو أدخل عليه التسعة والعشرين والفروع المستحسنة والمستقبحة لم تبلغ عشر

---

(١) التفسير الكبير (٢١/ ١٩٢) و(٢١/ ٢١٠)، وروح المعانى للألوسى (١٦/ ٧٢) (١٦/ ٧٢)، وفتح الرحمن (ص ٢٥٤) مسألة رقم (٤)، ومتشابه القرآن للقاضى عبدالجبار (٢/ ٤٨٣، ٤٨٤) مسألة (٤٥١).

(٢) راجع تفسير القرطبى (١١/ ٨٨)، والتفسير الكبير (١١/ ١٩٤، ١٩٥)، وقد جاء فى هذه السورة فى قوله تعالى: ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [٣١] ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [٣٣] فإن ﴿حيا﴾ الأولى الدنيا، والأخرى يوم البعث.

(٣) قراءة الحسن ذكرها أبو حيان فى البحر (١/ ٢٦) رواية عن زيد بن على والضحاك، ونصر بن على عن الحسن، وقد نقلها محقق المطبوعة فى هامش (١ - ص ١٢٤)، وراجع فتح الرحمن (ص ٢٥٤) مسألة رقم (٥).

معشار سلام الله عليه. ويجوز أن يكون ذلك وحيًا من الله ـ عز وجل ـ فيقرب من سلام يحيى. وقيل: نكرة الجنس ومعرفته سواء، تقول: لا أشرب ماء، ولا أشرب الماء؛ فهما سواء.

٢٩٢ ـ قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[(١)] [٣٧]، وفى «حم الزخرف»: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٦٥]؛ لأن الكفر أبلغ من الظلم، وقصة عيسى فى هذه السورة مشروحة، وفيها ذكر نسبتهم إياه إلى الله ـ تعالى ـ حين قال: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [٣٥]، فذكر بلفظ الكفر، وقصته فى «الزخرف» مجملة؛ فوصفهم بلفظ دونه، وهو الظلم.

٢٩٣ ـ قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[(٢)] [٦٠]، وفى الفرقان: ﴿وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا﴾ [٧٠]؛ لأن فى هذه السورة أوجز فى ذكر المعاصى؛ فأوجز فى التوبة، وأطال هناك؛ فأطال.

---

(١) فتاوى النووى (ص ٢٨٠) مسألة رقم (٢٦٠).

(٢) راجع القرطبى (١١/١٢٦)، وروح المعانى للألوسى (١٦/١٦٤، ١٦٥)، وفتح الرحمن (ص ٢٥٧، ٢٥٨) مسألة رقم (١٦).